الفصل الثالث

أهداف التربية ومجالاتها

إن تحديد الهدف أمر أساسي في كل عمل ، وبعد أن يتم توضيح الهدف ، وتوجد القناعة بأهميته يرسم الطريق المؤدي إليه ، ويبدأ السير عليه ، ودون ذلك فإن الجهود تضيع والخطوات تتعثر ، ويصبح المرء كمن يدور في حلقة مفرغة ، فيتثاقل إلى الأرض ، ولا يرغب في القيام بأي جهد .

وحين يتم تحديد هدف التربية بشكل صحيح ، ويكون هذا الهدف واضحاً للمربين ، ومقبولاً من الذين يعملون في حقلها ويتأثرون بها ، وتوضع الوسائل المؤدية إليه ، ويبدأ العمل بأساليب محكمة فإن التربية تؤتي ثمارها ، وتصبح ذات أثر كبير في رقي الأمة وازدهار المجتمع .

فوضوح الهدف والرغبة في تحقيقه هو المطلب الأول ، وتعيين الطريق والوسائل اللازمة لبلوغه هو المطلب الثاني . ودون ذلك لا توجد تربية نافعة ، ولا تظهر لها ثمار يانعة .

وإذا استعرضنا الأهداف التي نادى بها المربون في أوربا في العصر الحديث نجدها متعددة ومختلفة بحسب النزعة الفكرية لكل منهم :

فكومينوس[1] الذي يعد من أهم ممثلي الحركة الواقعية في التربية في

---

(١) كومينوس (١٥٩٢ـ١٦٧١) Comenius : يعد جون أموس كومينوس من أهم ممثلي الحركة الواقعية في التربية ، ومن أوسع الكتاب عقلاً وأبعدهم نظراً وأكثرهم منهجاً =

القرن السابع عشر جعل الهدف من التربية هو مساعدة الإنسان على الوصول إلى السعادة الأبدية ، وذلك بالاتصال بالله ، وكان المربون في عصره يرون أن التربية تساعد على الوصول إلى تلك الغاية بتحطيم الغرائز والشهوات الطبيعية والعواطف ، وسلوك مسلك تهذيبي وروحي يؤدي إلى تلك الغاية . أما كومينوس فكان يعتقد أن الغاية القصوى الدينية يحصل عليها الإنسان بسيطرته سيطرة خلقية على نفسه . ولضمان ذلك ينبغي أن يعرف نفسه ، وأن يعرف كل الأشياء ، فالمعرفة والفضيلة والتقوى هي بهذا الترتيب الهدف من التربية[1] .

ثم انتشر المذهب التهذيبي الذي يرى أنصاره أن عملية التعليم لا الموضوع المتعلم هي أهم شيء في التربية . ويمثل هذا المذهب التربوي « جون لوك »[2] بقوله :

= وإحاطة بنواحي البحوث التربوية . وقد وجه جل اهتمامه إلى توطيد دعائم المسيحية البروتستانتية ، وأصبح قسيساً أعظم . يرى أن الدين يجب أن يتخذ التربية وسيلة للتأثير في الناس والوصول إلى الأهداف العليا ، وأن الهدف الأسمى للإنسان هو السعادة الأبدية بالاتصال بالله . قام بالتعليم في أكثر من عشرين بلداً ، وكتب مايزيد على عشرين مؤلفاً أشهرها كتاب « المرشد الأكبر » وفيه يعرض مبادئه ونظرياته العامة في التربية ، و« باب اللغات المفتوح » وكتاب « الطبيعة » و« السابق في شمول المعرفة » و« باب الظواهر » و« عالم المحسوسات المصورة » [عبد الدايم/ تاريخ التربية ص٢٥٩ـ٢٧٠ ، منرو/ المرجع ٢/ ١٥٦ـ١٧٦] .

(١) المرجع في تاريخ التربية/ بول منرو ، ترجمة صالح عبد العزيز ج٢ ص ١٥٨ .

(٢) جون لوك (١٦٣٢ـ١٧٠٤) : عالم نفس وفيلسوف إنجليزي وأستاذ في التربية شملت أبحاثه اللاهوت والسياسة والاقتصاد والتربية . ألف رسالة سماها « العقل البشري » قرر فيها أن العقل يجب أن يترك حراً لينقد أي شيء دون أن يوضع له حد . وكان تجريبياً يرى أن مصدر المعرفة هو التجربة . وهو ممثل لحركة التهذيب الشكلي في التربية يرى أن التربية ما هي إلا تهذيب ، وإن كل ما يهدف إليه المجهود الفكري هو حب الحق ، ويرى أن التربية الخلقية مقدمة على الثقافة ؛ والفضيلة هي الهدف =

« إن أعظم عمل للمربي هو أن يقوّم السلوك وأن يشكل العقل ، وأن يغرس في تلميذه العادات الطيبة ومبادىء الفضيلة والحكمة ، وأن يكوِّن في نفسه فكرة عن النوع الإنساني ، ويقوده إلى حب ما هو حميد وجدير بالثناء ، وأن يعوِّده النشاط والحيوية والاجتهاد في أداء ما يعمل ، وأن يعوده تحمل المشاق ، وأن يدعه يتذوق قدراً يسيراً من طعم المادة التي يجب أن يتقنها بجهوده الخاصة . أما الدراسات التي يطلب منه القيام بها فهي تمرين لملكاته وحسن استغلال أوقاته حتى لا ينزع إلى التواني والكسل »[1] .

وأصحاب النزعة العلمية يحددون الغرض من التربية بأنه الإعداد للحياة الكاملة ، وهذا يكون بالحصول على القدر الكافي المناسب من المعرفة لتكوين الإنسان من الناحية الفردية والاجتماعية ، وبتنمية القدرة على استخدام هذه المعرفة .

أما أصحاب النزعة الاجتماعية فينظرون إلى التربية على أنها وسيلة لبقاء الجماعة ونموها . ويتناولون البحوث التربوية بطريق دراسة بناء المجتمع ومظاهر النشاط والمطالب الاجتماعية . وهدف التربية في نظرهم هو إعداد الفرد للمشاركة الناجحة في حياة زملائه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[2] .

وعلى العموم توجد أهداف ونظريات عديدة في مجال التربية ، نجملها فيما يلي ، ونبين موقف القرآن منها :

= الأساسي الذي يجب أن ترمي إليه التربية [رابوبرت ٢٢٣ ، عبد الدايم ٣٠٣ـ٣٠٦ ، منرو ٢/ ١٩٠ـ٢٠٤] .

(١) المرجع السابق ج٢ ص ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٣٨١ ، ٤٠٤.

١ـ النمو الفردي :

يقصد بهذا الهدف النمو الشامل المتكامل للفرد حسب ما تؤهله استعداداته وقدراته ، وهو لا يقتصر على النواحي الجسمية وحفظ الصحة ، بل يشمل اكتشاف المواهب والقدرات ورعايتها وتشجيعها ، وذلك بإزالة ما يعوق النمو السليم وتوفير الوسائل التي تؤدي إلى نمو الجسم والعقل ، وزيادة مختلف القوى المادية والمعنوية للفرد[١] .

وقد دعا « كانت » إلى تحقيق هذا الهدف فقال :

« وارتقاء التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة في الإنسان واستكمالها . والتعليم يقصد منه ارتقاء الإنسانية العامة واستخراج قوى كل فرد »[٢] .

والحقيقة أن النمو الفردي وسيلة وليس هدفاً ، وسيلة لقيام الفرد بما كلف به من واجبات على أكمل وجه ، ولابد من تحديد الهدف الذي يعمل لأجله والغاية التي يسعى لبلوغها . وإذا لم يكن الهدف نبيلاً فإن القوي لا يجد مانعاً من البطش بالضعفاء ، والغني لا يتورع عن استغلال الفقراء ، والذكي لا يجد ما يردعه عن المكر بغيره .

والقرآن يحث على العناية بالجسم والمحافظة على الصحة وسلامة الأعضاء ، ويجعل ذلك مقصداً من مقاصد الشريعة ، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل . ويرفع من شأن القوي في جسمه وعقله وعلمه :

---

(١) النظام التربوي في الإسلام/ باقر شريف القرسي ، ص ٤٢ـ٤٥ .

(٢) (التربية/ كانت ؛ ترجمة طنطاوي جوهري . ص ١٦ ، ٢٤).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾

[البقرة : ٢٤٧] .

ولكنه يحث على التمسك بالخلق الحسن إلى جانب حيازة أسباب القوة ، ويجعل ذلك مؤهلاً للقيام بالأعمال الهامة :

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] .

٢ـ تنمية القدرة على التفكير والبحث :

لقد كان هذا الهدف ولا يزال أهم أهداف التربية في كثير من النظم ، ولازالت المناهج المقررة في مدارس كثير من البلدان وجامعاتها تهدف إلى تنمية الذكاء ورجاحة العقل . ومع أن هذا الهدف ينطوي تحت الهدف السابق فقد أفرد بالذكر للدلالة على أهميته .

ولبلوغ هذا الهدف كان يعمد إلى حشو الذهن بالمعلومات ، ولا تزال نظم التربية في بلدان كثيرة ترهق الطلاب بتخزين معلومات كثيرة في أذهانهم لاسترجاعها حين الامتحان . ولئن كان لهذا الأمر أهميته في العصور القديمة حين كانت الكتب نادرة ووسائل الكتابة غير متوافرة ، إلا أنَّ تقدم الطباعة واختراع الحاسوب جعلا الحصول على المعلومات ميسوراً بشكل سريع وموثوق به أكثر من الاعتماد على الذاكرة التي تخون الإنسان في كثير من الأحيان . ولذلك ينبغي الاهتمام بتنمية قدرة العقل على الفهم والتحليل والاستنباط والاكتشاف والابتكار ومالا يستطيع الحاسوب أن يعمله ، ولم تبق حاجة لحشو المعلومات في تلافيف الدماغ[1] .

---

(١) مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام/ د . أحمد سليم سعيدان ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت (عالم المعرفة ،١٣١) ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م ، ص ١٥٧ـ١٥٨ .

وللعقل أهمية كبيرة في القرآن الكريم ، فهو مناط التكليف ، والمحافظة عليه من مقاصد الشريعة ، ولكن لا يصح أن تقتصر التربية على هذا الهدف وتهمل ما سواه .

٣ـ تحقيق الذات :

وذلك بأن نجعل للفرد من خلال التربية شخصية قوية ، وأن يشعر بكيانه المستقل ، ويصبح له وجود ذو أهمية ، ويحصل على مكانة مرموقة في المجتمع .

غير أن الصفات التي يحقق الفرد بها ذاته تختلف من إنسان إلى آخر ومن مجتمع إلى سواه ، بحسب عقيدته وثقافته ونظرته إلى الوجود ، فلا يمكن تحديد معايير موضوعية لتحقيق الذات تكون مقبولة في كل البلدان والعصور .

ثم إن هذا الأمر يجعل الأفراد في سباق وصراع دائمين ، وكل منهم يريد أن يتفوق على غيره ويتبوأ مكان الصدارة . وهذا وإن كان له أثره الجيد في الرقي والتقدم ، إلا أنه يكون على حساب العلاقات الإنسانية والعواطف النبيلة التي تجعل الإنسان يفعل الخير دون أن تكون الأضواء مسلطة عليه ، ويأخذ بيد الضعيف ويساعد العاجز ويحسن إلى المحتاج دون أن يرغب في جزاء وثناء سوى ما أعده الله للمحسنين . وكانت نتيجة هذه النظرية في المجتمعات الغربية تفكك المجتمع وانحلال الأسرة والتردي في حمأة المادية واضمحلال القيم التي تجعل الناس إخوة متحابين .

أما تأثير هذه النظرية على العلاقات بين الدول فهو أشد خطراً وأعظم وقعاً ، إذ تجعلها في سباق جنوني لحيازة أسباب القوة والهيمنة ، وهذا

ما يؤدي إلى الحروب فيما بينها بدلاً من أن يعم السلم والأمن .

والقرآن يحث على التواضع ، وينهي عن الكبر والاختيال :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] .

ويأمر بالمسارعة في الخيرات والتنافس في الطاعات :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

٤ـ الأهداف الاقتصادية :

تتلخص هذه الأهداف في إعداد الناشئين لاكتساب العيش وتعليمهم حرفة تدر عليهم دخلاً جيداً ، ويسهمون بها في زيادة الإنتاج ، وتعويدهم على إتقان العمل والإخلاص فيه .

غير أن سرعة توالي الأحداث والمخترعات في هذا العصر جعلت المهن تتغير من حين إلى آخر ، ولم يعد من المناسب أن يتعلم الناشىء مهنة محددة يقضي حياته بالعمل فيها ، ولم يعد هدف التربية الإعداد لوظيفة معينة ، بل أصبح الحصول على خبرة تفتح الطريق إلى حياة يستغل فيها المرء مواهبه وطاقاته ، وجعله يتصف بالمرونة وسرعة الاستجابة والقدرة على القيام بالأعمال المتاحة له . ولم يعد واجب المدرسة والجامعة أن تهيىء الطالب لوظيفة معينة ، ولا أن تعطيه معلومات محددة ، بل أن تساعده على أن يتعلم ما يلزمه ويروق له ، ويهيىء لنفسه العمل الذي يحبه ، ليكون قادراً على أن يبتكر لنفسه مجال العمل الذي يتيح له العيش الكريم[1] .

---

(١) مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام/ د . أحمد سليم سعيدان ، ص ١٥٧ـ١٥٨ .

والقرآن لم يهمل هذا الهدف ، فقد حث على العمل الصالح ، وبين أن آثاره تنعكس على الفرد والمجتمع ، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وحض على الضرب في الأرض لاستخراج ما فيها من ثروات :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] .

بل إنه قرن العمل والكسب بأفضل العبادات : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

ولكنه لم يجعل هذا الهدف أساسياً للتربية .

٥ـ الأهداف الاجتماعية :

لا يستطيع الإنسان أن يعيش في عزلة عن غيره ، ولم تعد صلته بالآخرين تنحصر في ربوع القبيلة ، بل اتسعت لتشمل الأسرة والدولة والمدرسة والمعمل والحزب السياسي والنقابة والمعابد والنوادي والجيران وزملاء المهنة وما سوى ذلك من الجمعيات والمؤسسات ، وأصبح يجد نفسه في خضم من الناس منذ يقظته حتى منامه في هذا العصر الذي تضخمت فيه المدن وضاقت فيه السبل وانزوت فيه الأرض واتصل بعضها ببعض . ولا بد والحالة هذه من تربية الفرد على احترام حقوق الآخرين والتعاون معهم وحسن المعاملة مع أفراد الأسرة والجيران والأقارب والأصحاب والزملاء وجميع الناس .

وقد أعطى القرآن هذه الناحية ما تستحقه من الاهتمام ، فجعل الناس متساوين ، ونهى عن الظلم والعدوان ، ودعا إلى العدل والإحسان ،

obeikandl.com

وأمر بالتعاون على البر والتقوى ، وأقام التوازن بين حقوق الفرد والمجتمع ، وجعل العلاقة بين المؤمنين على أساس الأخوة ، وبينهم وبين الذميين على أساس البر والعدل ، وأذن بالجهاد لنصرة المستضعفين والدفاع عن المظلومين :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٧٥] .

وشرع لذلك آداباً وأحكاماً تسمو بالبشرية إلى أعلى المقامات .

وإذا أصيبت الأمة في كيانها ، وجزئت إلى أقاليم عديدة ، وأقيمت فوق ربوعها دول مختلفة ، وأرادت أن تلم شعثها وتجتمع تحت راية واحدة ؛ فإنها تجد في القرآن الكريم دعوة صريحة لتحقيق هذا الهدف :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء : ٩٢] .

وهو يتضمن المبادىء التي تحقق الوحدة المنشودة وتحافظ على قيامها . ولكنه يمقت العصبية والنزعة العنصرية ، ويمنع أن تؤدي هذه الدعوة إلى النزاع بين الأمم والشعوب . ويريد من البشرية أن تعيش في وئام وانسجام ، وأن تفيء إلى ظلال الأمن والسلام .

٦ـ الأهداف الخلقية :

كان هذا الهدف ولا يزال على رأس الأهداف التربوية ، كيف لا وهو الغاية من بعثة الأنبياء : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(رواه أحمد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم)

وأول واجبات المربين أن يعملوا على تزكية النفوس والتحلي بالأخلاق الحميدة والتعود على الفضائل والمكارم ، واستئصال الرذائل والخصال القبيحة .

والقرآن يشيد بمن يجاهد نفسه ويزكيها ، ويذم من يوبق نفسه ويدنسها : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧ـ١٠] .

وفوق ذلك يريد من الإنسان أن يصبح ذا ذوق رفيع وشعور مرهف ، فيحسن معاملة الآخرين ومخاطبتهم : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

وقد دعا كبار العلماء والباحثين إلى الاهتمام بالأخلاق والعواطف الإنسانية إلى جانب الاهتمام بالعقل والذكاء ؛ جاء في تقرير اللجنة العالمية لمراجعة التربية برئاسة ايدجار فور : « من الضروري أن يحقق الإنسان الجديد نوعاً من التوازن بين إمكانياته الفائقة في الفهم والإدراك ، وما يجب أن يقابلها من الصفات المتعلقة بالطبع والعاطفة والأخلاق . ومعنى ذلك أن المعرفة ليست وحدها قوام الإنسان ولا العمل أيضاً بل لابد للإنسان أن يشعر بأنه يعيش في وئام مع نفسه ومع الآخرين »[١] .

* * *

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية/ د . ماجد عرسان الكيلاني ، ص ٥٩ .

هذه الأهداف المتعددة لكل منها نصيب في التربية ، لا يمكننا أن نهمل أياً منها ، ولا يمكننا أن نقتصر عليه دون غيره . ولكن هل من سبيل إلى جمع هذا الشتات وصياغة هدف عام للتربية؟ لقد حاول ذلك بعض الباحثين وجعل الهدف :إعداد المواطن الصالح ومعظم النظم البشرية تجعل إعداد المواطن الصالح هدفاً للتربية وهذا الأمر وإن كان مقبولاً داخل حدود الوطن الواحد ، إلا أنه غير مقبول على مستوى الإنسانية .

أما الهدف الأساسي للتربية في القرآن الكريم :

فهو جعل الإنسان يحقق الغاية التي خلق من أجلها ، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٦-٥٨] .

وعبادة الله لا تقتصر على الصلاة والصيام والزكاة والحج ، لأن هذه العبادات لا تستغرق حياة الإنسان كلها ، ولا تستنفد جهوده جميعها . والعبادة التي خلقنا الله لنقوم بها تشمل كل طاعة يتقرب بها العبد إلى ربه ، وكل عمل صالح يعود على صاحبه أو على غيره بالنفع ، ويقصد به وجهه الكريم . والعمل هو الذي يستغرق من الإنسان حياته ، ويجزى عليه بعد مماته . قال الله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

[الملك : ٢] .

والذي يقوم بالأعمال الصالحة يكون إنساناً صالحاً ، ولا يقتصر صلاحه على نفسه وأبناء وطنه ، وإنما يشمل البشرية جميعها والخلائق كلها .

وبذلك يكون هدف التربية هو إعداد الإنسان الصالح ، وهو الإنسان التقي الذي يعبد الله ويهتدي بهديه ، وهو الذي يعمر الأرض ويفي

بشروط الخلافة فيها ، وهو الذي يحيا حياة فاضلة لأنه استجاب لله ونظم أمور حياته بأحكام شريعته عملاً بقوله سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

وهذا الهدف يتناول جوانب الإنسان وكيانه كله ، ولا بد لتحقيقه من تنمية جسمه وحفظ صحته وتقويم لسانه وتثقيف عقله وتزويده بالمعلومات الصحيحة النافعة . ويتناول تدريبه على وسائل الكسب وتهذيب نفسه وإرهاف شعوره بجمال الكون ، وتعريفه بحقوق المجتمع والبشرية ، ويشمل أقسام التربية كلها[١] .

وقد تمكن بعض الباحثين من صياغة هذا الهدف أو الاقتراب منه :

يقول الدكتور إحسان عباس : « إن التربية الإسلامية نظام متكامل لبناء شخصية الإنسان المسلم في ذاته وفي مجتمعه ، ومن ثم فهي وسيلة لإيجاد مجتمع خير فاضل قدر المستطاع »[٢] .

ويقول علي أحمد مدكور : « أهداف منهج التربية في الإسلام إعداد الإنسان الصالح القادر على عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله »[٣] .

ويقول الدكتور ماجد عرسان الكيلاني : « الهدف الذي تسعى إليه التربية ـ حسب فلسفة التربية الإسلامية ـ هو بلوغ المتعلم درجة الرقي

---

(١) منهج التربية الإسلامية/ محمد قطب ، ص ١١ـ١٤ ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام/ عبد الرحمن الباني ، ص ٦٢ـ٧٢ .

(٢) التربية العربية الإسلامية : المؤسسات والممارسات ـ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية : عمان ، ١٩٩٠ ، ج٤ ، ص ١٥٠١ـ١٥٠٢ . .

(٣) منهج التربية في التصور الإسلامي/ د . علي أحمد مدكور ـ دار النهضة العربية : بيروت ـ ١٤١١هـ ، ص٣٣٨ .

الإنساني ، أو درجة « أحسن تقويم » ، حسب التعبير القرآني ، ويبلغ الإنسان درجة الرقي حين تتشكل علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة كما يلي :

ـ العلاقة بين الخالق والإنسان هي علاقة عبودية .

ـ العلاقة بين الإنسان والكون هي علاقة تسخير .

ـ العلاقة بين الإنسان والإنسان هي علاقة عدل وإحسان .

ـ العلاقة بين الإنسان والحياة هي علاقة ابتلاء .

ـ العلاقة بين الإنسان والآخرة هي علاقة مسؤولية وجزاء »[1] .

ونرى أن عباراتهم متقاربة تدور حول إعداد الإنسان الصالح الذي يقوم بعبادة الله وعمارة الأرض وبناء الخلافة الإنسانية ، ويجعل سلوكه وعلاقته بغيره وفق شريعة الله عز وجل .

* * *

(١) فلسفة التربية الإسلامية/ د . ماجد عرسان الكيلاني ـ ط٢ ـ ص٧٥ .

obeikandl.com

مجال التربية

مجال التربية هو الميدان الذي تتحقق فيه أهدافها ، والطريق الذي يجب السير فيه لبلوغ غايتها . ويتم تحديد معالم هذا الميدان برسم معالم الطرق المؤدية للهدف المنشود ، وكشف آثار السالكين عليها .

وتتناول التربية جوانب الإنسان الجسمية والعقلية والروحية ، ثم تتجاوز ذلك إلى تهذيب انفعالاته وعواطفه ، وتهتم بمشاعره وأحاسيسه ، وتحدد علاقته بغيره على أسس سليمة . فهي تشمل جوانب عديدة منها :

التربية البدنية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية الروحية ، والتربية الانفعالية ، والتربية الجمالية ، والتربية الجنسية . وهذا ما نفضل القول فيه ضمن الحدود التي يشير إليها القرآن الكريم :

١ـ التربية البدنية :

يولد الإنسان صغيراً ضعيفاً ، ثم ينمو ويقوى شيئاً فشيئاً حتى يبلغ أشده ، وبعد ذلك تميل أعضاؤه إلى الضمور ، وقوته إلى الضعف ، حتى تنتهي حياته على هذه الأرض . ولقد أنعم الله عليه بالصورة الحسنة والقوام المعتدل ، ومنحه عينين جميلتين يبصر بهما ولساناً ينطق به ، وشفتين تحفظان فمه وأسنانه وتعينانه على الطعام والكلام :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد : ٨ـ٩] .

والثدييات ـ بما فيها الإنسان ـ تتغذى باللبن بعد ولادتها لفترة تطول لدى الإنسان إلى عامين وتقصر لدى غيره إلى أشهر معدودة . وأفضل لبن يتغذى به الطفل من الناحية الصحية والنفسية والاقتصادية هو لبن أمه . وقد ثبت علمياً أن تركيب لبن الأم يتغير مع نمو الطفل الرضيع بما يتناسب مع حاجته إلى الغذاء وقدرته على هضمه ، فيكون رقيقاً خفيفاً في البدء ، ثم يزداد تركيزاً وترتفع نسبه الدسم فيه كلما كبر الرضيع . وهذا اللبن نظيف وغير ملوث بالجراثيم التي تملأ الزجاجة والحلمة الصناعية التي يتناولها حين يحرم من ثدي أمه . وشعور الطفل بالأمن والسرور حين يوضع في حجر أمه لترضعه يجعله يستفيد من لبنها فائدة كاملة ، وينمو نمواً حسناً من الناحية الجسمية والعاطفية .

وبعد الفطام يحتاج الطفل إلى الغذاء . وقد أحل الله لنا الطعام الطيب النافع ، وحرم علينا ما هو ضار خبيث :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

ونهانا عن الإسراف في الطعام والشراب لأنه يؤدي إلى اضطراب في جهاز الهضم ، أو يجعل خلايا الجسم تتكدس بالشحم الذي تنوء بحمله الأطراف ويصبح عبئاً ثقيلاً على القلب :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وأمرنا بالصيام لأنه يؤدي إلى تخلص الجسم من الفضلات والرواسب المتراكمة فيه ، مما يجعله من أهم أسباب حفظ الصحة .

ويحتاج الناس إلى ثياب تقيهم البرد والحر ، وتستر عوراتهم وتزين أجسامهم . قال الله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

ويقر القرآن القيام بالتمرينات الرياضية التي تزيد الجسم قوة ونشاطاً وللصلاة أثر ملموس في هذه الناحية ، فهي تجعل معظم عضلات الجسم تتحرك برفق مرات عديدة كل يوم ، مما يحفظ عليها مرونتها ، كما أنها تنشط الدورة الدموية بسبب اختلاف أوضاع الجسم بين الركوع والسجود والقيام والجلوس . والطهارة التي لا تصح الصلاة دونها تجعل الجسم نظيفاً ونشيطاً ، وتقيه شر كثير من الجراثيم والفطريات . وينهى القرآن عن التعرض للأوبئة السارية ، ويحرم الانتحار والقتل دون حق وإيقاع أي ضرر بالجسم .

وقد شرع القصاص والجزاء العادل لمن يقدم على قتل غيره أو يتلف عضواً فيه ، للمحافظة على سلامة الإنسان وحقه في الحياة .

فإذا ما روعيت هذه النواحي نبتت الأجسام نباتاً حسناً ونمت نمواً سليماً ، وبذلك يصبح الإنسان قوي الجسم صحيح البنية ؛ وهذا ما يجعله يضطلع بالتكاليف الملقاة عليه ويقوم بالواجبات المطلوبة منه .

٢ـ التربية العقلية :

هذه التربية أهم وأخطر من التربية الجسمية ، لأن الإنسان يمتاز عن الحيوان بعقله ، وليس العقل تلك الكتلة من الأعصاب الموجودة داخل عظام الجمجمة والتي تسمى الدماغ ، ولكن الدماغ ضروري لحياة الإنسان ولقيام أعضائه بوظائفها ، ولجعله قادراً على الحس والشعور

والتعلم كضرورة القلب لحياة الجسد . ونسبة العقل إلى الدماغ كنسبة الرؤية إلى العين والحركة إلى اليد ؛ فالعقل نتيجة خاصية جعلها الله في الدماغ ، يفارق به الإنسان سائر البهائم ، وهو الذي يستعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وبه يعرف عواقب الأمور[1] .

وليس القصد من التربية العقلية نمو الدماغ ، فنموه مرتبط بنمو الجسم ، بل نمو الذكاء وزيادة القدرة على التفكير والإبداع ، وجعل الإنسان أكثر علماً ومعرفة ، وجعله يزداد خبرة ومهارة ، للقيام بمهمته في الحياة على أكمل وجه .

والقدرات العقلية للإنسان تنمو بالتعلم والتدريب والتفكير . ويمكن قياس الذكاء وملاحظة ارتفاعه بالتربية المناسبة ، كما يمكن قياس طول القامة وملاحظة زيادتها في فترة النمو . ويجب أن تخضع المناهج التربوية للدراسة والتجربة ، وأن تجعل بشكل يؤدي إلى نمو الذكاء والقدرة على التفكير ، لا أن تقتصر على معلومات تلقن للطلاب ، ويؤمرون بحفظها دون نظر إلى حاجتهم إليها ، وصلتها بالحياة التي تسعى التربية لإعدادهم لخوض غمارها . ولقد مضى العصر الذي كان يظن فيه أن العلماء توصلوا لمعرفة كل شيء ، وكانت المناهج التربوية فيه تشمل خلاصات لكل العلوم ، ليحفظها الطلاب ؛ فالعلماء أصبحوا أكثر تواضعاً ويقيناً بأن علومهم محدودة ، وأن ما يجهلونه أكثر مما يعلمونه ، وتتسع دائرة المجهول أمامهم كلما اتسعت الدائرة التي تنطوي فيها معلوماتهم .

وظروف الحياة لا تستمر على نمط واحد ، بل تتغير من حين إلى

---

(١) إحياء علوم الدين/ الغزالي ، ج١ ص ٨٥ .

آخر ، وتزداد سرعة تغيرها بتقدم الحضارة ورقي المجتمع . ولذلك أصبحت التربية تسعى لجعل الإنسان يواجه الظروف المختلفة التي تمر عليه ، وجعله يكتسب مرونة وقدرة على التفكير والتكيف مع الظروف الجديدة ، وإيجاد الحلول للمشاكل الطارئة ، وجعله يبدع طرقاً جديدة في إنجاز أعماله ، ويخترع أدوات حديثة تسهل عليه مهامه ، ويبتكر أجهزة معقدة تقوم بما لم يكن في الحسبان .

والتفكير والعلم هما الزاد الذي يغذي العقول وينمي الذكاء ، وقد أمر القرآن بتحصيل العلم وحث على التفكير ، وذم المتبعين لآبائهم دون تفكير وبغير علم :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

وليس أضر على الإنسان وأخطر على الحق من اتباع الهوى وتعطيل العقل والحواس :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[الفرقان : ٤٣ـ٤٤] .

وبالمقابل فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أثنى على العلماء المفكرين والعقلاء الباحثين الذين يتفكرون في السموات والأرض ، وينظرون إلى ما فيهما من أشياء محكمة الصنع ، ويتوصلون إلى معرفة القوانين التي تسير عليها ؛ فيؤمنون بالله الواحد الذي خلق السموات والأرض ونظم الكون :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

٣ـ التربية الاجتماعية :

يقضي الإنسان حياته كلها في وسط اجتماعي ، ولا يمكنه أن يستغني عن الخدمات المادية والمعنوية التي يقدمها له الآخرون . ولا بد من احترام الناس ومعاملتهم بالحسنى ليتم التعاون فيما بينهم ، ولا يستطيع الفرد أن يتكيف مع المجتمع ويحصل على التقدير والاحترام فيه ما لم يتقبل آراء مجتمعه ومفاهيمه ونظرته إلى الحياة والوجود ، ولا يبقى المجتمع محافظاً على شخصيته وخصائصه وثقافته ما لم يطبع أفراده عليها .

وقد عمل القرآن على تماسك المجتمع بكل مؤسساته الصغيرة والكبيرة ، وعني بتربية الأفراد تربية اجتماعية فاضلة .

وأول مؤسسة اجتماعية ينتمي الفرد إليها هي الأسرة . وقد شرع القرآن الأحكام التي تجعلها متماسكة وتحقق الألفة والمودة بين أعضائها ، وتمكنها من القيام بدورها الاجتماعي على أكمل وجه ، وبين أن الله غرس في قلوب الزوجين ميل كل منهما نحو الآخر :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

وأمر الرجل بالإحسان إلى امرأته وإكرامها حتى في حال كرهها :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

وأمر المرأة بطاعة زوجها وحفظ ماله وعرضه : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

وجعل في قلوب الوالدين العطف والحنان على أولادهما ، وأوصاهما بحسن تربيتهم ، وأمر الأولاد بالإحسان إلى والديهم ، وقرن الإحسان إليهما بعبادة الله ، وشكرهما بشكره :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] .

وهذا الإحسان واجب في كل الحالات حتى الحالة التي يكون فيها الولد مؤمناً والوالد مشركاً ، غير أنه لا يطيعه فيما يخالف أحكام الشرع :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٥] .

ثم أمر بالإحسان إلى الجيران ، سواء القريب منهم والبعيد :

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

ولا يقتصر التراحم والتعاطف في القرآن على الأسرة والقبيلة والجيران والمحتاجين ، بل يشمل أفراد المجتمع كافة . فقد جعل الله المؤمنين إخوة ، وأمرهم بأن يكونوا متحابين ، وبأن يصلحوا بين أي فريقين أو فردين إذا تنازعا :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات : ٩-١٠] .

ومن مستلزمات هذه الأخوة أن يعامل كل فرد إخوانه كما يجب أن يعاملوه ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه . وللمحافظة على الأخوة بين المسلمين نهى الله عن السخرية من الآخرين وعن ذكر عيوبهم ، وعن التجسس والظن السيىء بهم .

ويتعدى هذا البر والإحسان المسلمين إلى غيرهم من المواطنين والمعاهدين والمستأمنين :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة : ٨] .

وكما حرص القرآن على تربية الفرد تربية اجتماعية تجعله ينسجم مع الآخرين ويحسن إليهم ، ويمتنع عن إيذائهم والعدوان عليهم ، فإنه حرص على تربيته بما يجعله يسهر على سلامة مجتمعه وأمنه ، ويسهم في رقيه وتقدمه ، ويعمل على توجيهه لما يرضي الله ، ومنعه من الانحراف والضلال ، ووقايته من الزيغ والفساد .

٤- التربية الجمالية :

لقد أضفى الله على كثير من مخلوقاته جمالاً وزينة يحس به كل ذي حس مرهف وشعور دقيق :

فالسماء يزينها القمر والنجوم :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات : ٦] .

والإنسان مركب على أحسن صورة وأجمل هيئة :

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر : ٦٤] .

والحيوانات التي سخرها الله للناس ، يشعرون حين ينظرون إليها بالمتعة والبهجة لما يلمسون فيها من الجمال والزينة :

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٥ـ٨] .

والأرض تزينها الأنهار والأشجار والورود والأزهار ، حتى إن هذه الزينة كثيراً ما تغري الناس بالاستمتاع بها ، وتجعلهم ينسون الغاية التي خلقوا لأجلها ، فيحتاجون إلى ما ينبههم لذلك بأمر يقضي عليها :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس : ٣٤] .

والحسن والجمال يتصف به كل شيء خلقه الله :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة : ٧] .

ولقد فطر الناس على حب الزينة والاستمتاع بالجمال ، حتى إنهم يركنون إلى الدنيا التي يجب أن يجعلوها سبيلاً للدار الآخرة :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران : ١٤] .

والله ـ سبحانه ـ أحل لعباده الزينة ، وأباح لهم الطيبات من غير إسراف أو تجاوز للحدود ، وندبهم إلى التزين حين الذهاب إلى المساجد وإقامة

الصلاة واجتماع بعضهم ببعض ، وحثهم على تناول الحلال الطيب الذي يجعلهم يرغبون فيما أعده الله للمتقين في الآخرة :

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣١ـ٣٢] .

ولا يقتصر الجمال على ما ذكرناه ، بل يشمل كل ما يجد فيه الإنسان لذة بعقله وحواسه . قال الإمام أبو حامد الغزالي : « وللإنسان عقل وخمس حواس ، ولكل حاسة إدراك ، وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ : فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضر والماء الجاري والوجه الحسن ، وبالجملة سائر الألوان الجميلة ، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة . وللشم الروائح الطيبة ، وهي في مقابلة الإنتان المستكرهة ، وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة ، وهي في مقابلة المرارة المستبشعة ، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسة ، وهي في مقابلة الخشونة والضراسة . وللعقل لذة العلم والمعرفة ، وهي في مقابلة الجهل والبلادة .

فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير »[1] .

وهكذا تهدف التربية الجمالية إلى المحافظة على مواضع الجمال والزينة وإلى العناية بأجسامنا وبيوتنا وممتلكاتنا ، والمحافظة على نظافة الطرق والحدائق والمرافق العامة وجعلها جميلة تسر الناظرين . كما

---

(١) إحياء علوم الدين/ الغزالي ، ج٢ ص ٢٧٠ـ٢٧١ .

تهدف إلى زيادة المتعة والشعور بالبهجة بكل ما هو جميل ، وإلى ابتكار وضع الأشياء الجميلة مما يريح النفس من عناء العمل ويجعلها تقوم بواجباتها دون شعور بالتعب ، ويدفع عنها الهموم والأحزان ، وذلك ضمن حدود الشرع ، ودون تجاوز للحلال إلى الحرام .

٥ـ التربية الانفعالية :

يطلق الانفعال على المشاعر القوية لدى الإنسان كاللذة والألم والفرح والحزن والقلق والغيرة . ويميز الباحثون بين أنواع ومستويات من الانفعال ، فهناك الهيجان والعاطفة والهوى ، ولكل منها طابعه وخصائصه وتأثيره في تفكير الإنسان وتصرفاته . وقد تنحرف هذه الانفعالات عن النضج والاستواء ، فتحتاج إلى التربية الملائمة .

والهيجان : اضطراب حاد يصيب الفرد ، أساسه نفسي ، ويشمل السلوك والخبرة الشعورية[1] يحدث إثر مواجهة المرء لمثير عنيف ، ولا يدوم طويلاً . ومثاله الخوف والغضب والفرح ، حيث يضطرب الشعور والتفكير ، وتضعف المحاكمة ، ويتغير لون الوجه وقسماته ، ويرتفع ضغط الدم أو ينخفض ، وتتغير سرعة التنفس عن حالتها العادية . وقد يبطؤ الهضم ويزداد الإفراز البولي . . ويرافق هذه التغيرات سلوك إقدامي أو إحجامي يقوم به المنفعل ، فيهجم ويقاتل في حال الغضب ، ويهرب في حال الخوف ، ويضحك في حال الفرح والسرور .

ويتغير الهيجان في مثيراته ومشاعره وتعابيره حسب مراحل العمر ، ويصل إلى مستوى مناسب من النضج بعد البلوغ ، وحينئذ يتميز بالاعتدال ، فلا يكون المرء ضعيف التأثر متبلداً ، ولا سريع التأثر يثور

---

(١) فاخر عاقل/ علم النفس ص ٣٤٦ .

لأتفه الأسباب . كما يتميز بالواقعية في مجابهة مشاكل الحياة ، فيصبح الفرد موضوعياً في إدراكه للعالم المحيط به ، متحرراً من الذاتية العاطفية والعقلية ، ومن الاتكالية على الآخرين . ويتميز أيضاً بالتوازن بين جميع الانفعالات والدوافع ، فلا يوجد بينها ما هو مسيطر متحكم في الجميع ، ولا يضعف بعضها لدرجة الكبت الشديد . ويصبح قادراً على ضبط النفس واحتمال الصعوبات والحرمان ، وعلى تأجيل اللذات العاجلة من أجل تحقيق أهداف أبعد . ويتسم بالرصانة وعدم التقلب بين المرح والانقباض والفرح والحزن أو الضحك والبكاء والتحمس والفتور[1] .

والنضج الانفعالي عامل أساسي في التكيف الاجتماعي السوي والصحة النفسية السليمة ، فاضطراب الصلات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية ناشىء عن اضطراب الانفعالات الإنسانية ، كما أن النجاح أو الإخفاق في الحياة يتوقف إلى حد كبير على عوامل انفعالية . ويتعلق النضج الانفعالي بعدة عوامل وراثية واجتماعية وتربوية ، والتربية السليمة تكون في تعليم الطفل حل مشاكله ومعالجة أموره دون أن يطلق العنان لانفعالاته ، ودون إسراف في كبح جماحه أو تدليله . وتحرص التربية على توجيه الانفعال نحو المثيرات الاجتماعية المناسبة ، وتخليصه من أسباب الإثارة الطفولية إذا كانت لا تناسب الانفعال الناضج ولا تتفق مع متطلبات التكيف الاجتماعي . فمثيرات الفرح أو الغضب أو الخوف عند الطفل والمراهق لا تكون جميعها مقبولة عند الراشدين ، ولذا ينبغي جعلها ناضجة معتدلة .

أما العاطفة : فهي حالة انفعالية تتميز بشعور معين نحو موضوع ما ، وتتصف بالاستمرار والثبات ، كما تتميز بنزعة للقيام ببعض الاستجابات

---

(١) المرجع نفسه.

والتصرفات ، وبقابلية لإثارة الهيجان بما يتضمنه من حدة الشعور والسلوك . ومن أمثلتها : الحب والكره والحقد والاحترام والإعجاب والاحتقار[1] .

وقد تكون العاطفة هادئة معتدلة ، وقد تكون قوية جياشة تسيطر على بقية العواطف ، وتأسر الشخص في شعوره وسلوكه ، وتجعله منجرفاً في تيارها ، عاجزاً عن مقاومة قوتها الدافعة ، مسخراً لما تمليه عليه . وهذا المستوى من العاطفة يسمى « هوى » .

ومن أمثلته هوى شرب الخمر مما يجعل صاحبه مدمناً ، وهوى الرياضة مما يجعله مندفعاً نحوها ، يقضي وقته فيها ، وينشغل تفكيره وشعوره بها ، وهوى فتاة مما يجعله مندفعاً في حبه منشغلاً به ضعيف المحاكمة والموضوعية والمقاومة إزاءه ، مستعداً للتضحية واقتحام الأخطار في سبيله .

وتنمو الحياة العاطفية كغيرها من جوانب الحياة النفسية ، فتزداد غنى واكتمالاً حتى تصل بعد البلوغ إلى نضج نسبي يتميز بالاستقرار والارتقاء إلى الموضوعات الأسمى . ويؤثر الوسط الاجتماعي في نشأة العواطف نحو بعض الأشخاص كالأم والأب والزميل والزعيم ، أو نحو بعض الأشياء والأعمال والقيم . ولمبادىء المجتمع وقيمه وتطلعاته دور كبير في توجيه دوافع الأفراد وتركيزها حول بعض المواضيع دون بعضها الآخر . وللعوامل الشخصية تأثيرها في التوجيه العاطفي للفرد ، فالشخصيات الانفعالية تتجه عواطفهم نحو الأشخاص . وأصحاب الاستعدادات الحركية تتكون لديهم ميول نحو الرياضة أو الأعمال التي تحتاج إلى نشاط جسدي غالباً . والقابليات العقلية تسهم في تكوين

---

(١) المرجع نفسه .

الميول نحو الموضوعات التي تتطلب التعمق الفكري ، وقد يميل الفرد إلى موضوع دون أن يتوافر لديه الاستعداد أو القدرة فيه . وللخبرات السابقة دورها في تكوين العواطف ، ولاسيما خبرات الطفولة ، سواء أكانت سارة أم مزعجة[1] .

وتعمل العواطف على تحريض السلوك باتجاه إرضائها ، ويترافق إرضاؤها أو إحباطها بحالات من هيجانات اللذة أو الألم والفرح أو القلق. . ولهذا تأثير في عملية التعلم ، لأن التعلم يستلزم القيام بسلوك هادف ، وهو يحصل بفعالية أفضل عندما ينفعل المتعلم انفعالاً ملائماً يسهل الإقبال على موضوع التعلم والفرح به ، وبالتالي استيعابه أو اكتساب السلوك المطلوب. . والعواطف تثير في المتعلم نشاطاً انفعالياً ، وتوجهه نحو اختيار الاستجابات الملائمة لحاجاتها ، والتي تنفع في إحداث التعلم ، وبذلك يتغلب العلم على مواقف اللامبالاة أو السلبية لدى المتعلمين .

ومن وسائل توظيف العواطف في التعلم المدرسي تنظيم موضوعات التعلم وطرائقه بحيث ترتبط بعواطف الطلبة وترضيها عن طريق القيام بالسلوك المطلوب لحدوث التعلم . ولذا دعا بعض المربين إلى نوع من المناهج سموه مناهج النشاط القائم على ميول التلاميذ ، حيث تنظم محتويات المنهج وطرائقه وفقاً لميول المتعلمين ، وهي تفيد في إثارة اهتمام المعلم لربط مادة التعلم وطريقته بميول تلاميذه حتى يحقق تعلماً أفضل .

وقد حرص القرآن على التربية الانفعالية السوية ، فوجه عواطف الإنسان وانفعالاته نحو ما هو جدير بها ، وجعلها معتدلة بالشكل

---

(١) انظر نعيم الرفاعي/ الصحة النفسية ، ص ١٣٠ .

المناسب ؛ فالمحبة الخالصة تكون لله ورسوله ، ولا يوجد من يستحق الحب الكبير سواهما ، لأن الله هو الخالق الرازق والمنعم بكل النعم والمتفضل بكل شيء ، والرسول هو الذي هدانا إلى الصراط المستقيم . ولا يصح إيمان المرء إذا منح حبه لشيء أكثر من الله ورسوله :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

ومن المؤمنين من يقدم لغيره ما يحتاج إليه ، ويصل بذلك إلى أسمى الفضائل وأنبل التضحيات . وهذا هو الإيثار الذي أثنى الله على المتصفين به من الأنصار وغيرهم بقوله :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

وقد نهى الله عن مغالاة المرء بعواطفه وانفعالاته ، وأرشد إلى ما يجعلها متوسطة الشدة متزنة فقال :

﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] .

٦ـ التربية الروحية :

تطلق الروح على معنيين : أحدهما ما يفارق به الحي الميت ، وما يجعل أعضاء الجسم وحواسه قادرة على الحركة والحس والقيام بوظائفها . وليس هذا المعنى مقصوداً في بحثنا . وثانيهما هو القوة اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان . وقد يطلق هذا المعنى على القلب ،

وقد يطلق على النفس[1] . فمن إطلاقه على القلب ما جاء من وصفه بالخشوع والاطمئنان في قول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

ومن إطلاقه على النفس ما جاء في قوله سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧ـ٢٨] .

وهذه الروح ميز بها الإنسان على سائر المخلوقات ، وبها استحق التكريم والتفضيل :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٨ـ٢٩] .

والتربية الروحية تعني ما يؤدي إلى تهذيب النفس وسمو الإنسان ، والتحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل ، ويكون ذلك بالعقيدة والعبادات والأخلاق الحميدة . وهي أرفع أقسام التربية وأكثرها أهمية . وبقدر حصول الإنسان على التربية في هذا المجال يرتفع شأنه وتسمو نفسه . والنظم المادية التي تهمل هذه التربية تحط من شأن الإنسان وتخفض من قدره ؛ لأن الإنسان ما هو إلا قبضة من طين ونفخة من روح الله ، ومن عناصر الطين يتركب جسده ، والجسد لا يحيا دون الطعام والشراب ، وهما يستخرجان من الطين : فالماء الذي نشربه يتفجر من ينابيع الأرض ويجري فوقها ، أو ينزل من السماء ويختلط بترابها . والطعام الذي نتناوله ، بعضه نحصل عليه من النباتات التي تستمد عناصرها من الطين ، وبعضه الآخر نحصل عليه من الحيوانات ، وهي تتغذى بالنباتات ،

---

(١) إحياء علوم الدين/ الغزالي ، ج٣ ص٤ .

obeikandl.com

وتكوّن منها لحومها وألبانها . وكذلك الروح لا تستغني عن الغذاء ، وغذاء الروح هو المناسب لطبعها والملائم لجوهرها . ولا يعلم ما يناسبها ويلائمها حق العلم إلا الله الذي جعلها في الإنسان ؛ ولذلك فإنه لم يدعه يتخبط في هذه الأرض ويضل في أرجائها ، وإنما أنزل إليه ما يهديه إلى سواء السبيل ، ويجنبه الغواية والضلال :

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ـ ١٢٤] .

ولقد اقتضت حكمة الله ـ سبحانه ـ أن يجعل ما يصلح الجسد معروفاً للناس ، وفي أنفسهم دافع قوي للحصول عليه . وأما ما يصلح الروح فهو غامض ومعقد ، ويحتاج إلى علم وبصيرة لكشفه والانتفاع به . ومن خبثت نفسه لا يطلبه ولا يحرص عليه ، بل يعرض عنه وينفر منه . ولذلك جعل الله الناس يضربون في الأرض ويأكلون من رزقه وأرسل الرسل وأنزل عليهم الوحي الذي يصلح الأرواح ويسعد الناس .

ولقد تنكر بعض الفلاسفة والباحثين لهذه التربية في عصور خلت ، ولكن كل من تحرر من هوى نفسه ومن التأثر بالعادات والموروثات التي جعلت بعض الناس ينأون عن الدين ، وكل من استقام في تفكيره ، وتحرى الحقيقة في بحثه فإنه لا يجد لهذه التربية بديلاً . وها هو أحد هؤلاء العلماء يدعو إلى العودة للقيم الروحية ، ويحذر من الفصام بين العلم والدين :

كتب « ماسلو » بعنوان : خطر الانشقاق بين الدين والعلم : « يتركز هذا البحث على التطورات الجديدة التي برزت في ميدان علم النفس ، والتي تحتم علينا إجراء تغييرات جذرية في فلسفتنا العلمية ، تغييرات

تجعلنا قادرين على قبول الأسئلة الأساسية التي يطرحها الدين باعتبارها مكونات أساسية في نطاق العلم حيثما يعاد تعريف العلم ويوسع ميدانه .

لقد درجت النظرة على اعتبار كل من الدين والعلم عالمين منفصلين عن بعضهما البعض ، وذلك بسبب الفهم الضيق لكل من العلم والدين . لقد خنق هذا الفصام مفهوم العلم في القرن التاسع عشر في دائرة ضيقة ، هبطت بالعلم وحصرته في ميدان الميكانيكا والفلسفة الوضعية ، وجردته من القيم الإنسانية . ومن هنا ألصق العلم بنفسه الخطأ المشين الذي زعم أن ليس للعلم ما يقوله في قضايا النشأة الإنسانية والمصير والتطلعات العليا والقيم الروحية .

ومثله هذه المقولات التي زعمت أن هذه الموضوعات هي أمور خارجة عن ميدان المعرفة الإنسانية ، وأنها لا يمكن التأكد منها أو إثباتها بطريقة تقنع العقل ، وإبرازها كحقائق تقنع الأذكياء .

لقد حكم هذا الاتجاه على العلم بالإخفاق ، وقصر مفهوم العلم على التكنولوجيا ، وأبرزه مجرداً من الأخلاق وقواعد الأدب الإنساني . وبذلك لم يعد العلم شيئاً ذا بال ، وصار لا يزيد عن كونه مجموعة من الطرائق والأدوات ، وأداة يستعملها الصالح والشرير لأي هدف خير وخبيث .

إن الفصل بين الواقع الإنساني والمثل العليا مهد للعلم المنشق عن الدين أن يزعم أنه يتعامل مع الوجود المادي الملموس فقط ، أي أنه لا يتعامل مع غايات الحياة وأهدافها ومقاصدها الرفيعة .

والعلم القاصر عن المثل العليا يهبط إلى المادي الملموس والمسموع والمنظور مجرداً من القيم الإنسانية ، ويصبح سلعة يمكن لأي شخص أن

يشتريها لأي غرض ، ويصبح العلماء مرتزقة يتكسبون بالعلم في أي مكان ، كما حدث لعلماء الألمان الذين عملوا للأهداف النازية والشيوعية والأميركية .

إن العلم قد يصبح خطراً يهدد مقاصد الإنسان العليا ، والعلماء قد يصبحون وحوشاً إذا أصبح العلم كلعبة الشطرنج متعسفاً لا أهداف له ، غايته الوحيدة اكتشاف الوجود المحسوس . وبذلك ارتكب العلم الخطأ الفاضح المصيري الذي يقصي أسمى الخبرات الذاتية من ميدان الوجود القابل للاكتشاف .

دعني أقول : أنه لا بد من طريقة جديدة للعلم ، ولابد من معنى أوسع للعلم ، وقد أصبح واضحاً أن موضوعات البحث الدينية والأسئلة التي يطرحها الدين حول النشأة والوجود والمصير هي قضايا علمية تستحق الاحترام الكامل ، وهي قضايا عميقة الجذور في الطبيعة البشرية ، ويمكن دراستها وتمحيصها بأسلوب علمي رصين .

ومن المسلم به أن علماء النفس الطبيعيين والإنسانيين سوف يعتبرون كل شخص لا يهتم بالدين وموضوعاته وقضاياه إنما هو إنسان شاذ أو مريض »[1] .

ويقول رينيه دوبوا : « العلم متهم بتدمير القيم الدينية والفلسفية دون أن يقدم بديلاً لإرشاد السلوك أو تصوراً عن الكون . . واليوم يجد الإنسان من الصعب أن يعيش دون فكرة عن وجوده أو إيمان بخطورة مصيره »[2] .

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية/ د . ماجد عرسان الكيلاني ، ص ٤٩ـ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

٧ـ التربية الجنسية :

ليس الجنس شيئاً يدعو للخجل ، بل هو طبيعي في الحياة ، وضروري لبقاء النوع البشري . ولكن بعض الرجال والنساء يحسبون أن الجنس شيء قذر وغير مرغوب فيه ؛ مما يؤدي إلى تنغيص الحياة أو الشعور بالكبت نتيجة المعاناة من الدافع القوي واعتبار تلبيته أمراً غير مستحسن . وهذا سبب في إخفاق الزواج وعدم الوفاق بين الزوجين ، فالمرأة التي تكره الجنس أو تحتقره لن تكون زوجة مرضية ، ولا تحظى بالسعادة ، والرجل الذي ينظر إليه نظرة ازدراء ، ويعتبر الزواج شراً لابد منه ، ولا يحرص على الانسجام العقلي والروحي مع زوجته لن يشعر بالسكينة والطمأنينة التي شرع الزواج لأجلها[١] .

وفوق هذا فإن الحيلولة دون تلبية هذا الدافع ، أو إتاحة تلبيته بطرق ملتوية سبب لاعتلال الصحة النفسية والبدنية وحصول اضطرابات يتعسر الشفاء منها .

وكثير من الناس لا يعرفون الحقائق المتعلقة بالجنس ، ولا كيف يتصرفون إزاء ما يصدر عنه في سلوك أبنائهم أو الذين يشرفون على تربيتهم ؛ ومن هنا نشأت الحاجة إلى التربية الجنسية وتنظيم الدوافع الغريزية وتحديد سبل إروائها وضبطها بطريقة شعورية[٢] .

يقول الدكتور « أوستاس تشيسر » وهو طبيب وباحث إنكليزي كتب

---

(١) الحياة الناجحة/ تأليف أوستاس تشيسر ؛ ترجمة وليم الميري ـ القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦ ـ (الألف كتاب ، ٣٩) ص ١٥٧ـ١٧٠ .

(٢) التربية الجنسية/ سيرل بيبي ؛ ترجمة محمد رفعت رمضان ونجيب إسكندر إبراهيم ؛ مراجعة إسحاق رمزي ـ القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ ، ص ٥ـ٦ .

في موضوعات نفسية واجتماعية عديدة : « يجب أن نعلم أن الحياة الجنسية لايمكن أن تكون حرة ، ولا يمكن أن تشبه الحياة الجنسية للإنسان بالحياة الجنسية للحيوان ؛ لأن الحياة الجنسية للإنسان تتطلب مشاركة بين فردين لا من الناحية البدنية فحسب ، ولكن من الناحيتين العقلية والروحية »[١] .

وتهدف هذه التربية إلى توفير الحياة السارة المتزنة المثمرة لكل فرد ، ومن أغراضها الرئيسة أن ينشأ الناس وفي اعتقادهم أن الجنس شيء رفيع نظيف سليم[٢] .

وتعنى هذه التربية بتوصيل المعلومات الجنسية إلى الأطفال بالمقدار والطريقة المناسبة لهم ، وبيان العلاقة القائمة بين حقائق التشريح ووظائف الأعضاء وتقاليد المجتمع ونظامه .

وتستمر طيلة الحياة ، ولكن من المهم أن تتناسب مع المراحل التي يمر بها المرء في حياته . ويجب أن يفهم الأطفال الحقائق الفيزيولوجية الأساسية قبل فترة المراهقة ، وخاصة التغيرات التي تطرأ عليهم فيها ، وذلك لكيلا يتلقفوا معلومات غير صحيحة من أقرانهم والذين يحيطون بهم تكون سبباً في انحرافهم وبلبلة أفكارهم . وهناك حقائق يفضل أن تعرف أثناء المراهقة أو في بدايتها ، وأخرى قبل الزواج وبعده .

وغالبية الآباء غير قادرين على القيام بهذه التربية ، ويجهلون الكلمات والمصطلحات الشرعية والعلمية التي يمكن التفوه بها دون استحياء ؛ ولهذا يجب أن يقوم المدرسون بهذه التربية ، وهذا لا يعفي الآباء والأمهات من هذه المهمة ، فمن واجبهم أن يدلوا إلى الطفل ببعض

---

(١) الحياة الناجحة . ص ٩٢ .

(٢) التربية الجنسية . ص ٤٦ ، ٩١ .

المعلومات الجنسية عندما يسألهم عنها ، أو عندما يجدون الفرصة مناسبة لذلك . وليس توصيل المعلومات إلى الأطفال سوى جانب واحد من جوانب التربية الجنسية ، ويبنغي أن ينظر سائر المحيطين بالطفل إلى الجنس نظرة سليمة ، وأن تقوم العلاقات بينهم وخاصة بين الوالدين على مبادىء صحيحة ، إذ أن تكوين الاتجاهات أهم بكثير من تحصيل المعرفة .

ولا تتحقق هذه التربية في المدرسة بإضافة مادة جديدة إلى منهجها ، أو إضافة بعض الدروس إلى إحدى المواد ، ولا يمكن قصرها على دراسة خاصة أو مدرس معين . وليست مادة الأحياء أو الصحة وحدها تعنى بهذه التربية ، ولكن يشترك فيها الأدب والتاريخ والجغرافية والدين وغيرها من المواد ونواحي النشاط . ولا يصح أن تنزع الحقائق الضرورية لفهم الجنس فهماً صحيحاً من مناسباتها الطبيعية . وكلما كانت التربية الجنسية في المدرسة غير محسوسة وغير مباشرة كانت أفضل وأتم ، لأنها حينئذ تسير سيرها الطبيعي مع الحياة العادية ، ولا تبدو أنها أقحمت إقحاما »[1] .

وينبغي تحقيق الرغبات التي يبديها الأطفال ، والتزام الأمانة في الإجابة عن أسئلتهم ، مع الإدلاء بالتفصيلات على قدر اهتمامهم بها ، وعدم تقديم ما يرهق أذهانهم أو يعجزون عن إدراكه من الناحية الانفعالية . غير أن هذه التربية لا تتحقق بتوصيل المعلومات الجنسية إلى التلاميذ فحسب ، وإنما يتعدى ذلك إلى التأثير في الاتجاهات والسلوك وتنظيم الرغبات الفطرية . وكلما كان خلق الفرد قوياً متيناً كلما أمكنه تنظيم رغباته تنظيماً قوياً[2] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٥ـ٢٢ ، ٧٤ـ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٤ ، ١١٣ـ١١٥ .

ولعله من المدهش أن نقول : إن القرآن الكريم نص على مبادىء التربية الجنسية الرشيدة ، وذكر الحقائق المتعلقة بها دونما مواربة أو غموض ، وربطها بالحياة دون تكلف أو تصنع .

الدافع الجنسي :

وهو لا ينظر إلى الناحية الجنسية نظرة امتهان وازدراء ، وإنما يعتبرها فطرة في نفس الإنسان ، ويبيح تلبية الدافع إليها بالطرق المشروعة ويذكرها إلى جانب العبادات التي تعد من أهم أركان الإسلام ، ونجد ذلك واضحاً في قول الله عز وجل :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ . ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

فانظر إلى هذا الأدب الرفيع حيث عبر عن الصلة بين الزوجين بالرفث حيناً وبالمباشرة حيناً آخر . والرفث هو الجماع والكلام بحضرة النساء مما يثير الدوافع إليه ويزيد الرغبة فيه ، والمباشرة في حقيقتها إلصاق البشرة بالبشرة دون حائل ، والمراد بها الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحوها[1] .

ولا أروع من بيان الصلة الوثيقة والعلاقة الحميمة بين الزوجين من هذا التشبيه البليغ في قوله تعالى : (هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن) ،

---

(١) أحكام القرآن/ ابن العربي ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ـ بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٨ ، القسم الأول ص ٩٠ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٢٠ـ٢٢٤ .

فالزوجان كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه ؛ فناسب أن يرخص لهما في المجامعة ليالي رمضان .

ولا أدل على الرغبة في الاقتران بالزوجة من قوله تعالى : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) .

وذكر المفسرون أن الصائم كان يباح له تناول الطعام والشراب والجماع إذا افطر حتى ينام أو يصلي العشاء ، فإذا نام أو صلى العشاء حرم عليه ذلك إلى الليلة القابلة . ولكن بعض المسلمين لم يتمالك نفسه حتى اقترن بزوجه ؛ وكان ذلك سبباً في نسخ هذا الحكم الشرعي ، وجعل الجماع وغيره من المفطرات مباحاً ليلة الصيام[1] .

عن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال : « لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله :

(علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم)»[2] .

وانظر إلى هذه الرحمة الإلهية حيث كانت خيانة الأنفس تحت ضغط هذا الدافع سبباً للعفو والتخفيف ، ولم تكن سبباً للعقاب والتشديد ، وفي هذا دليل آخر على إقرار هذا الدافع والاعتراف بشدته وقوة تأثيره ، وعدم الحيلولة دون تلبيته بالطرق المشروعة .

ثم ذكرت الآية التي مازلنا في ظلالها أدباً رفيعاً آخر يكون مع تلبية ذلك الدافع الفطري ، مما يجعله يرتفع فوق مستوى إشباع الشهوة إلى مقام العبادة ، وذلك في قوله تعالى : (وابتغوا ما كتب الله لكم) : أي

---

(١) أحكام القرآن ق١ ص ٨٩ـ٩٠ .

(٢) رواه البخاري : ٦٥ ـ ك التفسير/ ٢٧ ـ باب أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث ، رقم ٤٥٠٨ .

اطلبوا بالجماع الولد الصالح الذي يثاب المرء بتربيته ، أو العفة والفضيلة والثواب الذي أعد لمن يتصف بها .

تشريع الزواج :

ولما كان الزواج هو السبيل لتلبية هذا الدافع فقد حث الله ـ تبارك وتعالى ـ عليه ورغب فيه ، ونهى أن يكون الفقر حائلاً دونه ، وبين أنه متكفل بأرزاق العباد فقال :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

والزواج هو النظام الذي يضمن للزوجين تلبية دافع كل منهما نحو الآخر في جو يغمره العطف والحنان ، مما يضمن لهما السعادة والهناء ولأولادهما التربية الرشيدة . وهو نظام فطري عرف في سائر المجتمعات القديمة والحديثة ، ولم يشذ عنه إلا القليل من الناس .

يقول سيرل بيبي : « ليس هناك فيما نعلم مجتمع لم يؤثر عنه نظام ما من أنظمة الزواج ، ولقد مرت فترات ببعض البلاد كما حدث في الأعوام القليلة التي تلت الثورة السوفييتية في روسيا ، جعل الناس فيها رعاية الأطفال من اختصاص الدولة لا من اختصاص الوالدين ، ولكنهم تبينوا بمضي الزمن أن الطفل يحتاج إلى أكثر من الطعام والمأوى ، وأن حاجاته الوجدانية لا يمكن أن يقوم بإشباعها إشباعاً كافياً إلا والداه دون غيرهما . وقد أدى هذا إلى إعادة وضع الأسرة في مكانها الصحيح كحجر الأساس في بناء المجتمع »[1] .

---

(١) التربية الجنسية ص ٣٠ .

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ المودة والرحمة التي يشعر بها كل من الزوجين نحو الآخر دليلاً على حكمته وسبباً للتفكر في آلائه فقال :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

وقد تبين أن هذه المشاعر الحميمة لا تحدث أبداً بمجرد الصلة العابرة بين ذكر وأنثى ، ولابد لها من الحياة المشتركة المنظمة بالزواج .

يقول سيرل بيبي : « يجب التسليم بأن العلاقة بين الرجل والمرأة يمكن أن تكون أكثر من مجرد اتصال جنسي ؛ لأن الناحية الجنسية جانب من جوانب الحياة ، وهي وإن كانت جانباً مهماً جداً إلا أنها جانب فقط . وإنما يشتق الزوجان الموفقان السعادة الوارفة من مساهمتهما معاً في سائر أنواع النشاط ، حتى ولو كانت هذه المساهمة في الأمور اليومية البسيطة للحياة المنزلية . والواقع أن معظم من تقوم بينهم علاقات جنسية دون عقد زواج شرعي يفقدون كثيراً من هذا الهناء »[1] .

المحرمات من النساء :

ولكن القرآن الكريم لم يترك للرجل حرية الزواج من أي امرأة تروق له ، فهناك محرمات بالنسب ومحرمات بالرضاع ومحرمات بالمصاهرة لا يحل الزواج بهن ، مما يدل عليه قول الله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ

---

(١) التربية الجنسية ص ٣١ .

﴿ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٢٣] .

ولم يكن هذا التحريم للتضييق على الناس ، وإنما لما يترتب عليه من آثار بيولوجية ونفسية واجتماعية ؛ فقد تبين بدراسة علوم الأجنة والوراثة أن الزواج بين الأقارب يؤدي إلى ضعف النسل ، لأن الموروثات تكون متشابهة لدى الزوجين ، وفضلاً عن ذلك فإن الرغبة بينهما تكون فاترة نتيجة الحياة المشتركة منذ الصغر . ولو سمح بالزواج بين الأقارب ومحارمهن فإن بعض الأسر تتقوقع على نفسها ، وتنعدم صلتها بغيرها ، ثم تنقسم إلى طائفتين في حال النزاع بين الزوجين .

أما التحريم بالرضاع فحكمته تكريم الأم المرضع وبناتها وسائر قريباتها اللاتي يحرمن على الرضيع لو كان ابناً بالنسب ، فضلاً عن أن اللبن يدخل في بنيته ، وتنشأ بينه وبين الأسرة التي رضع فيها علاقات حميمة تنأى بها عن الزواج .

وأما التحريم بالمصاهرة فحكمته تمتين العلاقة بين الزوجين ، ومنع تعكير هذه العلاقة من جانب أبناء الزوج أو أصوله ، وبنات الزوجة وأصولها ؛ وهذا يتيح لبنت الزوجة أن تعيش مع زوج أمها ، ولأم الزوجة أن تقيم أيضاً مع صهرها ، كما يتيح لوالد الزوج أن يقيم عنده ، ولأولاده أن يبقوا في رعايته ولو تزوج من غير أمهم . ولهذا أثره الملموس في تحقيق التكافل الاجتماعي ، وضمان الحياة الكريمة لمن اضطر إلى العيش في كنف واحد من هؤلاء نتيجة ظروف طارئة ألمت به .

تنظيم الصلة الزوجية :

لقد أباح القرآن الكريم للزوجين الاتصال الجنسي في أي ساعة من ليل أو نهار ما لم يكن هناك مانع شرعي ، وبأي كيفية يرغبان فيها مادام ذلك في الموضع المخصص للاتصال . قال الله تعالى :

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

وقد كان اليهود يحذرون من أن يأتي الرجل امرأته في قُبُلها من خلفها ، فنزلت الآية رداً عليهم :

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : « كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول ، فنزلت : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)[1] .

غير أن الاتصال الجنسي منهي عنه أثناء الحيض والنفاس ، وقد تبين أن المرأة لا تكون صالحة للاتصال في تلك الحالة ؛ وهذا لو حدث حينئذ فإنه يسبب لها تشققاً في المهبل لجفافه ، ويعرضها هي وزوجها للإصابة ببعض الأمراض الناتجة عن الجراثيم والفيروسات الموجودة في الدم ، مع عدم وجود السوائل التي يفرزها المهبل لتعقيمه وتسهيل الاتصال في غير ذلك من الأحوال . يقول الله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي : التاج ج٢ ص ٣٠٨ .

obeikandl.com

وقاية الأجهزة التناسلية :

وليس الأمر بالغسل عقب الحيض والنفاس إلا وسيلة لوقاية تلك الأجهزة الحساسة من أن تلوث بما يسبب الإصابة بالمرض مما يعلق بالجسم وينتقل إليها لولا الغسل ، وهو وسيلة أيضاً لإزالة الآثار التي تثير الاشمئزاز وتحد من رغبة الرجل في امرأته . ولذلك شرع تطييب الفرج بعد الغسل .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال : «خذي فرصة من مسك فتطهري بها »[1] .

ولهذا أيضاً شرع الغسل بعد الاتصال بين الزوجين ، مما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟ ﴾ [المائدة : ٦] .

ولوقاية تلك الأجهزة أيضاً شرع الختان ، وهو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الذكر ؛ مما يمنع تراكم الأوساخ والمفرزات تحتها ، ويقي شر الالتهاب والوباء[2] .

ولذلك أيضاً أمر بإزالة الشعر الذي ينبت فوق الأعضاء التناسلية وحولها منذ سن البلوغ ، وعد ذلك من خصال الفطرة :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « الفطرة خمس ، أو خمس من الفطرة : الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب »[3] .

---

(١) رواه البخاري : ٦ ـ ك الحيض/ ١٣ ـ باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت رقم ٣١٤ ومعنى فرصة بكسر الفاء : قطعة من صوف أو قطن .

(٢) التربية الجنسية ص ٢١٥ .

(٣) متفق عليه : البخاري في ٧٧ ـ ك اللباس/ ٦٣ ـ باب قص الشارب ، ومسلم في كتاب الطهارة/ باب خصال الفطرة .

obeikandl.com

والاستحداد هو استعمال الموسى في حلق العانة ، والمراد بها الشعر الذي فوق ذكر الرجل وحواليه وحول فرج المرأة .

الحمل والولادة :

وإذا كانت التربية الجنسية تعنى بإجابات الصغار عن منشأ الأولاد وكيفية خروجهم إلى الدنيا وتهيئتهم لما يطرأ عليهم في سن البلوغ ، فإن المربين يجدون في آيات القرآن الكريم أوفى بيان بهذا الشأن :

فقد أشار القرآن إلى البلوغ والأحكام المترتبة عليه في قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

[النور : ٥٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ . . ﴾ [النساء : ٦] .

وللمربين حين يتعرضون لمثل هاتين الآيتين أن يتوسعوا في معنى البلوغ وعلاماته ، ويجيبوا عن الأسئلة المتعلقة به دون خجل أو شعور بالحرج .

والقرآن صريح في أن الحمل نتيجة للاتصال بين الزوجين :

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

وقد ذكر المراحل التي يمر بها الجنين منذ أن يكون نطفة حتى ولادته ، بما لايسع العالم المختص بعلم الأجنة إلا التسليم لما في تلك

المراحل من الدقة والشمول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ـ١٤] .

وبين أن الجنين يخرج من بطن امه : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا . . ﴾ [النحل : ٧٨] .

وبالاعتماد على هذه الآيات وما يشابهها فإن الوالدين والمربين لا يشعرون بشيء من الحرج حين يشرحون هذه الحقائق للأولاد ، أو يجيبون عن التساؤلات المتعلقة بها . وهذا يجعلهم في غنى عن الخرافات التي كان الناس يلجؤون إليها للتعمية على أولادهم في هذا المجال ، كأن يقولوا بأنهم وجدوا الصغير على باب المسجد أو تحت الشجرة ، أو إن القابلة جاءت به تحمله في حقيبتها وغير ذلك .

تصعيد الدافع الجنسي :

ولما كان الشباب غالباً يشعرون بهذا الدافع قبل أن تتاح لهم وسيلة إروائه فإن النبي ﷺ دلهم على أحسن وسيلة تحد منه وتعين الشاب على العفة حتى يقدر على الزواج.

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[1] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي : التاج ج٢ ص ٢٧٨ .

أما الاستمناء والاستمتاع بالعبث بالأجهزة التناسلية فهو مكروه وغير مرغوب فيه ، وقد أباحه طائفة من العلماء ، واحتجوا بأنه إخراج فضلة من البدن ، واستدل عامتهم على تحريمه بالحديث السابق وبقول الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾

[المؤمنون : ٥ـ٧] .

لأن الحديث أرشد من لا يستطيع الزواج إلى الصوم : ليكون عوناً على غض البصر وحفظ الفرج ، والآية وصفت بالعدوان من أراد صرف شهوته بغير زوجته أو ما ملكت يمينه[١] .

ومن المعلوم من الدين بالضرورة تحريم الزنى وكل ما يؤدي إليه ويسهل ارتكابه ؛ قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وكذلك يحرم اللواط ، وهو إتيان الرجل رجلاً آخر أو صبياً ، والسحاق وهو إتيان المرأة امرأة أخرى . ويشير إلى ذلك قوله الله سبحانه :

﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٥ـ١٦] .

---

(١) أحكام القرآن/ ابن العربي ، قسم ٣ ص ١٣١٠ ، فتح الباري/ ابن حجر ، ج٩ ص ١١٢ .

ومعنى « يأتين الفاحشة » يفعلن الفعلة الشديدة القبح ، وهي الزنى على رأي الجمهور ، والسحاق على ما اختاره أبو مسلم ونقله عن مجاهد .

وقوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم » أي يأتيان الفاحشة وهي الزنى في قول الجمهور ، واللواط في قول بعضهم وعليه أبو مسلم .

والمراد بالتثنية في القول الأول الزاني والزانية بطريق التغليب ، وفي الثاني الفاعل والمفعول به .

وروي عن ابن عباس تفسير الإيذاء بالتعيير والضرب بالنعل .

وأيد الشيخ رشيد رضا ما اختاره أبو مسلم فقال :

« وتخصيص الفاحشة في هذه الآية باللواط الذي هو استمتاع الرجل بالرجل ، والفاحشة فيما قبلها بالسحاق الذي هو استمتاع المرأة بالمرأة هو المناسب »[1] .

وأما الجمهور الذين فسروا الفاحشة المذكورة بالزنى فقد قالوا : إن حكم الآية منسوخ بسورة النور التي نصت على جلد الزناة بقوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] .

وحسبك زاجراً عن هذه الفعلة الشنيعة ما حل بقوم لوط من الدمار والنكال ، إذ خسف بهم الأرض ، وأمطر عليهم حجارة من السماء ، وهدد كل من يفعل فعلهم بالعذاب[2] . قال الله تعالى :

---

(١) تفسير المنار/ رشيد رضا ـ ط٤ القاهرة : محمد علي صبيح ١٣٧٤ هـ ج٤ ص ٤٣٥ـ٤٣٨ .

(٢) انظر « الأقوام البائدة في جزيرة العرب » للباحث . . دمشق : دار حسان ، ١٩٩١ ص ١٢١ـ١٤٨ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢ـ٨٣] .

وبذلك تكون مبادىء القرآن الكريم خير ضمان للتربية الجنسية السليمة ، والوقاية من الأمراض الخطيرة التي تفشت في هذا العصر نتيجة السعار الجنسي المحموم الذي يؤججه أولئك الذين يريدون للبشرية أن تهوي إلى الحضيض ، والفوضى في إرواء ذلك الدافع . ويبقى الزواج هو النظام السليم الذي يتيح تلبيته ، ويحقق السكينة للزوجين ، وهو سبيل الحياة الناجحة . يقول الدكتور « أوستاس تشيسر » : « هوجم نظام الزواج من أناس ظنوا أنهم حرروا أنفسهم من الهوى والتحيز ، وأنهم على صواب عندما يصرون على أن تكون رسالتهم في الحياة أن يحرروا غيرهم من قيود الزواج ، مع أن المعرفة النفسانية العميقة تكشف لنا عن أن الزواج وتكوين العائلة يتجاوبان مع حاجات شخصية الإنسان الأساسية »[1] .

* * *

(١) الحياة الناجحة/ مصدر سابق ص ١١١ـ١١٢ .

obeikandl.com